

النقد الروائي التاريخي الجزائري:

كتاب (الأدب الجزائري الحديث تاريخًا وقضايا وأعلامًا) لـ عمر بن قينة عينة

Historical novelist criticism Algeria : The Book of Modern Literature

(History, Issues and Flags) by Omar ben Quina

أ. أم الخير قوال*

أ. أحمد حاجي¹

تاريخ القبول: 2022-04-16

تاريخ الاستلام: 2021-06-05

ملخص: تهدف هذه الورقة البحثية للحديث عن النقد الروائي التاريخي في الجزائر وكيف تجسدت آلياته على النص من خلال التركيز على نقطتين هامتين: أولاً بيان أصول هذا النقد خارج العالم العربي بالتركيز على مرجعياته الفلسفية الأولى بالإضافة إلى ظهوره جزائرياً، ثانياً توضيح مصطلحات وقضايا ومرجعية هذا المنهج عند الناقد "عمر بن قينة" من خلال كتابه "الأدب الجزائري الحديث تاريخًا وقضايا وأعلامًا" بالتركيز على جزئه الخاص بنقد الرواية، فما هي سلبيات وإيجابيات هذا التطبيق؟ وهل نجح الناقد في ممارسته أم بقي يعيد ما هو غربي؟

كلمات مفتاحية: النقد؛ الرواية؛ الجزائر؛ المنهج التاريخي؛ عمر بن قينة.

Abstract: This research paper aims to talk about historical novelist criticism in Algeria and how its mechanisms were embodied in the text by focusing on two important points: First - explanation of the origins of this criticism outside the Arab world by focusing on its first philosophical references in addition to his

* - جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر.

البريد الإلكتروني: oual.oumelkhir@gmail.com، (المؤلف المرسل).

* - جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر.

البريد الإلكتروني: hadji.univ@gmail.com

Algerian appearance, Second - clarifying the terms, issues and reference of this method according to the critic "Omar bin Qaina" through his book "Modern Algerian Literature: History, Issues and Flaws" by focusing on his part of criticizing the novel. What are the pros and cons of this app? Did the critic succeed in his practice, or did he keep repeating what is Western?

Keywords: criticism; novel; Algeria; historical method; Omar ben Quina

مقدمة: تعدّ الرواية الجزائرية محطة هامة وبارزة في نظر النقاد الذين اعتبروها ديوانهم للتقصي والتحليل والدراسة حتى يدخلوا مصاف العالمية في مجال النقد الروائي العربي ويضعوا بلادهم ضمن دائرة النقد المرموق على حساب اختيار جميع الآليات، وقد اختاروا المنهج التاريخي وسيلة للتعرف على الرواية وسبر أغوارها وتحمل غموضها بالتعرض لنشأتها وتحليلها بناء على بيئة المؤلف وجنسه وعرقه وظروف نشأته وكيف أثر ذلك في نصّه مع اعتبار الحوادث والتواريخ الموجودة في نصوص الثورية والتي تحكي عن الاستعمار ومجازره مؤثرات أو دعائم تساعد على ممارسة النقد التاريخي خاصة أنّ الروائي الجزائري يبدو متأثرا بظرف الاستعمار قبل إنتاج نصوص عن حياته أيام الأزمات التي عانى منها المجتمع الجزائري آنذاك لتظهر على صعيد ذلك كتابات عبد الله الرّكبي (تطور النثر الجزائري) وعبد الملك مرتاض (فنون النثر الأدبي) واتجاهات الرواية لواسيني الأعرج و(الأدب الجزائري الحديث تاريخا وقضايا وأعلاما) لـ عمر بن قينة الذي أورد فيه بابا للحديث عن نشأة الرواية الواقعية والأيديولوجية مع تفسير رواية ربح الجنوب لابن هدوقة ولونجة والغول لزهور ونيسي.

فكيف كان النقد الروائي التاريخي الجزائري؟ وهل نجح الناقد عمر بن قينة في تطبيق آلياته تطبيقا صحيحا على المتون الروائية التي اختارها؟

ستتبع هذه المقالة منهجية نقد النقد التي تتطلب دراسة منهج الناقد ونقد قضاياه ومصطلحاته وطبيعة المتن الروائي المختار للدراسة من خلال التصنيف ووصف وتحليل بعض المحطات وشرح أجزاء من مواقفه النقدية. وابرار دور النقد التاريخي الجزائري ضمن الإطار المغاربي والعالمي وكذا محاولة تصحيح بعض الأخطاء التي وقعوا

فمها، باقتراح جملة من الحلول المرجوة، كل ذلك سندرسه وفق استراتيجية التحليل والوصف وبعض الشرح لعينة من المدونات النقدية الجزائرية التي مارست هذا التيار في نقدها لرواية. وقد كان للبحث فرضيات منها:

1. إمكانية نجاح الناقد عمر بن قينة في كتابه هذا من خلال تطبيق المنهج التاريخي على الرواية

2. الحلول الناجعة للإشكال القائم.

3. بيان أولوية دراسة نقد النقد.

4. طبيعة النقد الروائي التاريخي الجزائري.

5. نجاح الممارسات النقدية المطبقة لهذا المنهج على النص الروائي.

2. النقد الروائي التاريخي:

2.1. أصوله خارج العالم العربي: في فترة ركود العالم معرفياً لم تكن الأمور تُفسّر بآليات معينة ولما استفاق الإنسان من جموده قرّر أن ينصب العقل مفتاحاً للعلوم ومعرفة كنهها جراً ما حدث من ثورات في فرنسا وأمريكا وغيرها من دول الغرب، فكان البحث في الفلسفة وباقي المجالات يبحث عن تفسير لمعنى الوجود فلم يجد أمامه سوى الرجوع إلى فهم التاريخ الإنساني أولاً، ومنها أنتجت النصوص الماركسية والاشتراكية والوجودية وغيرها، ولتطوير هذا الفهم التاريخي أكثر اعتمدت التحليلات التاريخية لهذه النصوص على «منطلقات الفلسفة الوضعية عن طريق الاهتمام بقضايا الحياة وتطوراتها» (سي كبير أحمد، 2016)¹ واعتبار الحركة الأدبية «وظيفة للتطور الفتي/السياسي/الاجتماعي/الديني في أي مجتمع» (وغليسي يوسف 2002² حيث تعمقت رؤية هذا المنهج بمجيء أعمال "هيولبت تين (Hippolyte Tain) في ثلاثيته (العرف- البيئة- الزمان) بسبب التشكيك في وجود الإنسان والوراثة والبنية التي يعيش فيها وتعلقه مثلاً بحكايات الأسطورة وتاريخ الأجداد وعلاقة تطوره مع مجتمعه، وعلى هذا المنوال تجسدت الظواهر الطبيعية «تحت وطأة الفلسفة الداروينية (داروين Darwin) و"برونتيار" (Bronttiar) في دراسته التطورية للأجناس والألوان الأدبية، و"سانت بيف" كذلك، فإن الناقد الفرنسي الشهير "غوستاف لانسون (Gustave Lanson) (1857-1934) هو الرائد الأكبر للمنهج التاريخي في النقد» (وغليسي، 2002)³ من خلال

المبادئ التي قدّمها لدراسة الأدب تاريخياً والتي رأى فيها أنّ: «تأريخ النّص كاملاً، مقابلة النّسخ وتحليل متغيرات التّفاعل بين الأدب والمجتمع وعلى النّاقّد أن يدرك مفهوم التّاريخ وإنّ لكل عصر حلقات لها صلة بما بعدها وما قبلها ويقتضي عمله أن يربط بينها ويرصد تطور الظّاهرة الأدبيّة من عصر لآخر وما كان لهذه الرّوابط من علاقة بنظائرها في التّقسيم الزّمني» (سي كبير 2016)⁴.

هذا أغلب ما أنتجه فكر "لانسون (Lanson) عن النّهج التّاريخي لدراسة النّص نقدياً بأساليب تاريخيّة تحمل خلفيات الفلسفة الوضعيّة، مركزة على العصر والزّمن ومؤثراته في فكر المؤلّف وهو ما يؤكّد تأثير ذلك على الفكر العربي عموماً.

وعلى وجه التّحديد يظهر النّقد التّاريخي للرواية مع كتاب "جورج لوكاتش" (György Lukács) "الرواية التّاريخيّة" الذي أكّد فيه أبعاد الماركسيّة واشترك المضامين الاجتماعيّة مع ذلك «وقد ألمح لوكاتش (Lukács) لرواية العالم بالمفهوم التّاريخي الفلسفي وفي دراسته أيضاً عن بلزاك والواقعيّة الفرنسيّة حيث أسهب في تحليل الخلفيات الفكرية التي كانت وراء إبداع بلزاك (Balzac) لروايته» (لحميداني حميد، 1990)⁵.

وخلال هذا أثار "جورج لوكاتش" (György Lukács) قضايا تتعلّق بنظريّة الرواية فيما يخصّ النّقد الدّاتي لها قائلاً: «إنّ عظمة بلزاك (Balzac) تكمن بالتّحديد في متمنياته الغائيّة ولمعتقداته الرّاسخة العميقة كل ذلك بواسطة هذا الوصف الدّقيق للوقع الذي كان ينم لديه بنوع من الصّرامة» (Lukas George, 1973)⁶.

بهذا يكون "لوكاتش" (György Lukács) قد أثبت بتفسيره لكيفيّة الإنتاج عند "بلزاك" (Balzac) علاقة النّقد التّاريخي بما هو ذاتي ومتعلّق بالمؤلّف تزامناً مع ظروفه الخاصّة والمعتقدات التي يؤمن بها، وقد يقترح النّاقّد للنّص المعطى العودة لتاريخه باعتباره وسيلة «أمنية بالحفاظ على معالم حضاريّة نشطة في فترة من فترات الزّمن الماضي...» (محمّد شيخة، 2014)⁷.

ولقد تحرّر النّقاد الذين مارسوا بعضاً من الدّاتيّة التي كانت سائدة واستبدلوها باعتبارهم القائل أنّ النّقد التّاريخي وسيلة أو طريقة لمعرفة خبايا النّص ممّا حقّق نجاحاً معتبراً.

يضاف إلى هذا وجود «المادية التاريخية وتطبيق معالمها التي لاقت بالطبع بعضا من الاهتمام بالنقد الماركسي الذي شاهدناه في الغرب منذ عام 1968 على الأقل ضمن مهمات النقد الماركسي أن يميز المحددات التاريخية الكامنة وراء انبعائه ولكن من مهماته أيضا أن يبين أن صحته (Valiatity) لا تتماثل مع هذه المحددات التاريخية وذلك لأن المادية التاريخية تؤيد الادعاء القائل إنها ليست مجرد أيديولوجيته فقط بل إنها تتضمن نظرية علمية للتكون والبنية وانهيار الأيديولوجيات» (تيري ايجلتون، 1992).⁸

المادية التاريخية هي وجود أحداث وقعت في مجتمع ما وانبنى على أساسها الإنتاج الكتابي للنص، بالتالي هي لا تخضع لإيديولوجية معينة وإنما تخضع لما حدث على أرض الواقع من قتل وتخريب وحروب ومعاهدات وصفقات سياسية تبرم لصالح دولة من الدول وتعتبر هذه مؤثرات زمنية تؤثر في كتابة النص من أجل بناء تاريخي ومن ثم تأتي تحليلات الناقد مطابقة لما يوجد فيه.

نستطيع القول إجمالاً أن النقد التاريخي الغربي وضمن ما قدمه نقاده جعلهم يكتفون ذلك مع النص الروائي ويقدمون على منواله نقدا تاريخيا يبحث عن تاريخ الفرد وقوميته، من ذلك نجد أن الروايات الغربية التي كتبت كانت تحمل تاريخ أمم سابقة حتى في وجود بعض الملاحم، وهنا اختلفت تصورات كتاب الرواية التاريخية «من روائي إلى آخر فبينما نلفي فيكتور هيغو (Victor Marie Hugo) يتخذ من "الرجل الضاحك" أو "ثلاثة وتسعين" مجالا خصيبا لتأويل الوقائع، وبسط الأيديولوجيات وعرض الرموز والأساطير. بل نلفيه يتخذ منهما إطارا خياليا يتفجر منه معنى الظاهرة الثورية، نلفي (vigny) في روايته "خامس مارس" يصطنع التاريخ في سياق آخر، إذ نجده يرسم بشيء من البراعة تردي الطبقة الأرستقراطية الفرنسية إلى أسفل الحضيض ويفضح حنينها العارم وتطلعها الغامر إلى قيم الإقطاعية» (عبد الملك مرتاض، 1998)⁹ وخلال هذا عمد النقاد إلى استخراج هذا التاريخ من الرواية بالرجوع إلى بيئة وعصر المؤلف، فلقد كان وجود التاريخ فيها مساعداً مهماً ومحفزاً على تطبيق استراتيجيات المنهج التاريخي، مع اعتبار أن كل النصوص تستطيع أن تفسر تاريخيا حتى وإن لم تكن تحت نوع أو جنس التاريخية وعند الرجوع إلى أول التحليلات النقدية تاريخيا نجد (هيجل Hegel) هو أول من اختص حديثه التاريخي النقدي بشيء من الاهتمام عندما تحدث عن نظريات

علم الجمال ورأى فيها أنّ الرواية «ملحمة حديثة بوجوازية تعبر عن الخلاف القائم بين القصيدة الغزلية ونشر العلاقات الاجتماعية» (مرتاض عبد الملك، 1998)¹⁰ وقد تبع هيجل (Hegel) في هذا ("غوتGoethe") والنّاقد المجري "جورج لوكاتش (György Lukács)".

2.2 النّقد الرّوائي التّاريخي الجزائري: النّقد التّاريخي في الجزائر جاء مناسباً للنص الرّوائي الذي تكلم عن ثورة التّحرير والاشتراكية والثّورة الرّزاعية والعشريّة السّوداء وغيرها من المواضيع التي عالجهما الفن الرّوائي في فترة معينة من الإنتاج باللغتين العربيّة والفرنسيّة، فلقد كانت النّقد المقدمة لهذه الرّوايات تختص بالحديث عن كتابات "آسيا جبار ومولود فرعون ومولود معمري وكاتب ياسين ومالك حداد باعتبارها الرّوايات التي حملت تاريخ الجزائر بكل محطّاته قبل وأثناء وبعد الاستقلال.

وقد بين النّقاد الجزائريين خلال المنهج التّاريخي حديثهم عن نشأة الرّواية العربيّة والفرنسيّة وتأثر المؤلّف بظروف الاستعمار وصراعات الثّوار وغيرها.

كما أكد هؤلاء أمثال "واسيني الأعرج، عبد الله الرّكبي، عبد الملك مرتاض أحمد منور، عمار بن زايد، صالح مفقودة، عمر بن قنيّة اتباعهم لما هو جامع للنقد والتّاريخ عند تناولهم لنشأة الرّواية واحتوائها مواضيع الثّورة والأحداث الإجماريّة والاستعمار وكيفيّة التّعذيب وحالة المجتمع في وقت الاشتراكية والرّأسماليّة وتواجد بعض آثار الإصلاحات الرّزاعية وأحداث الثّامن من ماي 1945.

إنّ وجود هذه العناصر في الرّواية جعل النّقد التّاريخي للرّواية يركز على عرضها واستخلاصها ومتابعة مسيرة المؤلّف التّاريخيّة التي جعلته يكتب نصّاً وفقاً لظروف مجتمعه وتحقيق بطولاته وإنجازاته ضمن تاريخ العالم.

وأول ناقد تحقّق لديه المنهج التّاريخي هو واسيني الأعرج ضمن كتابه اتجاهات الرّواية العربيّة في الجزائر الذي بين فيه وعي وهويّة التّاريخ الثّوري بقوله: «هناك ثلاث فترات هامة كان لها الدّور الحاسم في بلورة الوعي الجماهيري واستقلال الجزائر وتحديد هويّتها التّاريخيّة وهويّة الاتجاهات الرّوائية في الآن ذاته، هذه الفترات هي فترة ثورة الفلاحين سنة 1871م والفترة الثّانية وهي ذات صلة بأحداث الثّامن من ماي 1945م وتصادفت هذه المرحلة ظهور أول رواية جزائريّة مكتوبة باللغة العربيّة عادة أم القرى

للكاتب أحمد رضا حوحو باللغة العربية، في وقت لم تظهر فيه إلا روايتان باللغة العربية» (واسيني الأعرج، دت)¹¹.

إنّ تحديد النّاقّد لفترات ومراحل تطور الفن الروائي يعني اهتماماً تاريخياً وذلك ملاحظ في وجود مصطلحات توجي بتأثير عامل التاريخ على تفسيرات وتحليلات النّاقّد، فما دام يتعامل مع نصّ تاريخياً فإنه ينبغي عليه تحديد الأحداث التاريخية ضمن النصّ والبيئة والعصر وتكييف ذلك مع النصوص المدروسة والتي جاءت متأثرة بمجريات الاستعمار وعليه سيكون الكلام النّقدي عنها تاريخياً ولكن ما يعاب على مثل هذا أنّ النّاقّد يقترب كثير من المؤرخ عندما يجد في النصوص ما يناسب تاريخاً ما وهو الأمر الصّعب فقد لا ينجح في التّفريق بين أن يحلل جوانب تاريخية وبين عرضها في علاقتها مع بيئة ما.

في الجانب نفسه يذهب عبد الله الرّكبي في كتابه تطور النثر الجزائري إلى الحديث عن الإنتاج الذي أوجدته الظروف الاستعمارية «ولعلّ هناك ظروفاً أسهمت في جعل من يكتب باللغة القومية مجهولاً إلى حد ما، في حين أنّها أسهمت في التعريف بمن يكتب باللغة الأجنبية في الجزائر حتى أنّ بعض الدّارسين للأدب الجزائري الحديث في البلاد العربية حين عرضوا لهذا الأدب درسوا الآثار المكتوبة باللغة الأجنبية ولم يشيروا من قريب أو من بعيد إلى من يكتب باللغة القومية فضلاً عن الباحثين في البيئات الأوروبية» (الرّكبي عبد الله، 1983)¹²

الملاحظ على الكلام النّاقّد هنا هو احتواؤه على مفردات ومصطلحات تاريخية تشي بوجود نوعٍ من النّهج التاريخي المتبع أثناء تحليل ودراسة الظروف المؤثرة في طبيعة الإنتاج الروائي، والحديث عنها بحد ذاته يعدّ قرب ممّا يبحث عنه المنهج التاريخي عندما يحلل نصّاً ويفسره انطلاقاً من ظروف الكاتب التاريخية.

أمّا عبد الملك مرتاض فقد اتبع أقرانه من النّقاد خلال حديثه عن نشأة الرواية الجزائرية بجانب تاريخي لم يتعدّ الذّكر السّطحي والحديث العادي عن التّصنيف والتّقسيم وأحياناً الرّأي في ظهور فن قبل آخر ولا علاقة لها بالنّقّد التاريخي إلا إذا صنفناه في جانبه النّظري التعريفي فحسب، من ذلك قوله حول نشأة الرواية الجزائرية: «إنّ النثر الأدبي الجزائري لم يعرف إلا محاولة روائية واحدة هي "عادة أو القرى ل

أحمد رضا حوحو وهذه الرواية من النوع القصير إن صحّ هذا التعبير لكنّها تجاوزت في حجمها مفهوم القصّة القصيرة إلى أن يقول: وأحسب أنّ هذه الحكبة أقوى ما تكون في عادة أم القرى وهي حبكة من النوع المركب لأنّ الكاتب بناها على أكثر من حكاية واحدة، كما ربطت أحداثها برباط منطقي، كل حركة لها علّة وإنّ كل سلوك له غاية وإنّ كل فلجة لها نفس الهدف الذي تسعى إليه» (مرتاض عبد الملك، 1983)¹³.

في هذا الأسلوب التاريخي يظهر لنا أنّ هذا النّقد الذي يتبع وقت وزمن النّشأة الأدبيّة وكذا تلميحا لما قام به الكاتب من أحداث لا يعتبر نقداً بمعيار التاريخيّة لأنّ الرجوع لإثبات صدور إنتاج ما هو إثبات بوجوده ميدانيا، كما يمكننا ملاحظة التاريخ الذي حدد به النّاقד ظهور النثر الأدبي في الجزائر ضمن فترة زمنيّة معينة، وهو ما جعل استراتيجيته النّقدية في مجال التاريخ كآليّة منطقيّة إلى حدّ ما، و«لأنّ ممارسة النّقد هي كتابة التاريخ أو دراسة فضاءات تاريخيّة محدّدة من الانعكاس الذاتي الذي يحمله فكر المؤلّف فضاءات ترسم أزمنتها المتبادلة الغايات الممكنة للمعرفة وبالتالي الغايات الممكنة للمعرفة وبالتالي الغايات الممكنة للتحكّم والسيطرة على التّشكيل الإيديولوجي» (تيري ايجلتون، 1973)¹⁴ وهو ما يجعل نقد مرتاض يتفوق في تحديد الغايات الممكنة للتّحليل تاريخياً.

إنّ حدود النّقد التاريخي أن يفسّر الفكر التّأليفي الذي أنتج حوادث التاريخ داخل المجتمع، ويراعي ظروفه، خاصّة إذا كانت هذه الظروف تتعلق بأزمة الاستعمار التي خلقت نصّاً متأثراً بأحداث حدثت لمجتمع في وقت ومكان معين، وعلى النّقد أن يترصد ذلك ويثبت من أسلوبه وطريقته تحليله السّياق التاريخي الذي أتت فيه المعاني النّصيّة في قالب توضيح التاريخ، من دون اعتبار النصّ وثيقة تاريخيّة لأنّ «علم تاريخ النّقد هو علم المحدّدات التاريخيّة لهذا التّعيين الشّديد (determination Over) للجماليات الأدبيّة» (ايجلتون تيري، 1973)¹⁵.

يختلف النّاقد عمر بن قينة حينما ربط تاريخ النّشأة بما هو عربي ومشرقي عمّا قدمه النّقاد الآخرين بقوله: «فالرواية الجزائرية الحديثة النّشأة غير مفصولة عن حداثة هذه النّشأة في الوطن العربي كله، مشرقه ومغرب، سواء في نشأتها الأولى المتفردة أم في

انطلاقها الناضجة، ولم تأت هذه النشأة عموماً بمعزل عن تأثير الرواية الأوروبية بأشكال مختلفة» (بن قينة عمر، 2017)¹⁶.

إنّ الحديث عن النشأة هنا مختلف من ناحية نوعيّة وطريقة تقديم ظهور الفن الروائي كما أنّه يعدّ نقداً تاريخياً، جاء في شكل دراسة بحثيّة عاديّة، تنظر للجانب التاريخي ضمن وقت معيّن بالعودة إلى التاريخ مع شيءٍ من التّحفظات.

متابعة لهذا تظهر روايات السّير الذاتيّة كمحطة تناولها النّقاد من خلال نموذجهم التاريخي أثناء حديثهم عن بيئة المؤلّف وجنسه وعرقه المتبع في ذلك فقد كان الحكم على مثل هذا النوع من الروايات «بمثابة القيمة الجماليّة أو الإيديولوجيّة التي تشتمل على وصف العمل الأدبي» (ساري محمّد، دت)¹⁷ انطلاقاً من تاريخه الذي يقدمه على اعتبار أنّ الأديب يحاول تحديد أزمنة وأمكنة كثيرة خلال الخط الشّخصي المكتوب فقد يكتب عن يومياته مثلما فعلت زهور ونيسي في روايتها "يوميات مدرسة حرّة" والتي نقدها عمر بن قينة في كتابه دراسات عن القصّة القصيرة «بأنّها رواية بمقياس النّص ورواية بمقياس نحو الأحداث عبر الطّرف الزّمني والمكاني والنّفسي، ورواية بمقياس الواقعيّة التي تدخل بنا البيوت والمؤسسات... ورصد فوتوغرافي...» (بن قينة عمر، 2012)¹⁸.

طبعاً لجوء النّقاد إلى السّير الذاتيّة ساعد في تطبيق -ولو جانباً واحداً من -آليات المنهج التاريخي، حتى يكشفوا طبيعة المادة الأدبيّة وما تحمله من مواطن تستحق الدّراسة بالعودة إلى بيئة وزمان ومكان منتج النّصوص، لأنّ النّقد التاريخي «يتكلّى على ما يشبه سلسلة من المعادلات السّببيّة: فالنّص ثمرة صاحبه، والأديب صورة لثقافته، والثّقافة إفراز للبيئة، والبيئة جزء من التاريخ فإدّا النّقد تأريخ للأديب من خلال بيئته» (وغليسي يوسف، 2007)¹⁹.

يضاف إلى هذا ما قدّمه النّاقّد أحمد منور عن رواية ابن الفقير كنموذج يسعى من خلاله لتأطير النّقد التاريخي، حيث يعتبر هذه الرواية «أنموذج كسر قواعد التّكتم بشيء من الانتقائيّة والتّحوير مثلها مثل باقي روايات السّير في الجزائر، فنجمة ما هي في الواقع إلّا السّيرة الذاتيّة لكاتب ياسين في فترة معينة من حياته مع شيء من التّحوير والتّغيير وإعادة التّركيب وطيور في الظّهيرة والبزاة لمرزاق بقطاش ليست إلّا السّيرة الذاتيّة للكاتب كذلك نجد من ملامح الكاتب في رواية التّطليق أو الإنكار لـ رشيد بوجدرّة

ورائحة الكلب لجيلالي خلاص وباب الريح ل علاوة وهي والانهيـار لإسماعيل غموقات...»(منور أحمد، 1991)²⁰.

مما يعني أنّ وجود الكلام الشّخصي والذّاتي داخل النّص الرّوائي هو الذي جعل أحمد منور وغيره من النّقاد يعتبرون عنصر البيئة محرّكاً في الإنتاج والقصد والمعنى، وبهذا يصبح النّقد تابعاً لما يوجد في نصّ، بحيث يقوم التحليل النّقدي باستخراجها ورصدها وأحيانا احصائها فقط، ولا يعمل على تبيان المعنى التّاريخي الذي يريده قارئ النّقد، كما يعدّ كلام النّاقـد أحمد منور مستوفي شروط المنهج التّاريخي وهذا حيال ربطه العناصر البيئية بإنتاج النّصوص خاصّة في مسألة السّير الذّاتيّة واعتباره لها حديثا تاريخيا، من ناحية التّنهج النّقدي الصّحيح فيما يخصّ القولية الاستراتيجية المنهجية مع النّص العربيّ.

نستنتج ممّا سبق ذكره أنّ النّقد الرّوائي التّاريخي في الجزائر كان مهتماً بنشأة الرواية العربيّة والفرنسيّة، وأسباب كتابة هذا النّوع من السّرد، كما أنّ طبيعة الإنتاج الرّوائي جعلت النّقد يأتي بهذا الشّكـلة يتابع النّص وما فيه ويقوم برصده فحسب بمعنى أنّ تلقي مكونات المنهج التّاريخي لم تتأقلم مع الروايات لذلك أنتجت بعض الدّراسات النّقدية واكتفت بالحديث عن الجوانب التّاريخية داخل النّص ناسية إثبات وتبيان النّقد التّاريخي ضمن أصوله، وهذا بسبب حمل النّصوص الرّوائية تاريخ الوطن، الأمر الذي جعل النّقاد يكتفون بتبيان هذه الجوانب فقط ويهتمون بالنّشأة وابرار الحوادث التّاريخية، في حين ظهرت نقود ترصد كل مقوّمات المنهج التّاريخي بغض النّظر عن نوعه وتحاول توضيح المرجعية الحقّة لهذا النّقد.

3. الجانب التّطبيقي: الكتاب النّقدي "في الأدب الجزائري الحديث تاريخاً وأنواعاً وقضايا وأعلاما ل عمر بن قينة.
أولاً: الغايات:

1.3 عتبة الكتاب: يتصدر عنوان الكتاب الأدب الجزائري الحديث جميع أنواع الأدب ودراستها انطلاقاً من التّاريخ واعتباره وسيلة نقدية يتقصى من خلالها النّاقـد الوثائق النّصية التي تمثل مستجدّات النّشأة وحملها للعناصر المجتمع في وقت وزمن معين.

ستركز دراستنا على الفصل الخاص بتأسيس الرواية الجزائرية بين الواقعية والإيديولوجية والفن.

يهدف الناقد خلال هذا الفصل إلى وضع الأدب الجزائري والرواية بالتحديد ضمن مكانتها مع الأقطار المشتركة في الجذور فكرياً وفناً وكذا ضمن مسارها الإنساني العام (بن قينة عمر، 2017)²¹.

2.3 المنهج النقدي: يتخذ عمر بن قينة من استراتيجيات المنهج التاريخي وسيلة لنقده المقدم للرواية الواقعية التي جسدت ظروفًا سياسية واجتماعية أثناء الاستعمار، يقول مؤكداً ذلك: «وقد اتبعت في ذلك كله منهجا تاريخيا تحليليا نقدياً عمومًا، ملتزمًا ما استطعت وقتا ومادة للمحطّات الكبرى في مسار الحركة الفكرية والأدبية خصوصًا منذ 1830» (بن قينة، 2017)²².

إنّ القول باتباع المنهج التاريخي في النقد سيحيل الناقد إلى الرجوع إلى آليات "لانسون (Lanson) وتين (Taine) وبرونتيار (Broncttiar) لكن عليه توخي واستنباط المعنى التاريخي من النص وأن يكون النقد وتحليلاته خاضعة لاستقطاب هذا النهج الحدائي بشيء من الحذر للوصول إلى نتيجة مقنعة أثناء الدراسة التاريخية للنص فنيًا وجماليًا وواقعيًا، حتى يستطيع ربط التأريخ بالنقد والأدب.

في الجانب نفسه نجد الناقد بن قينة قد تتبع في فصله هذا «النظرة التاريخية التي تعود إلى القرن الماضي، للمرور بثلاثينيات هذا القرن وأربعينياته وصولاً إلى مرحلة التأسيس الناضج مع مطلع السبعينيات» (بن قينة عمر، 2017)²³ كما درس في الجانب التطبيقي من الكتاب رواية لونجة والغول مؤكداً على الظروف البيئية التي جعلت الكاتبة تكتبها من حيث أنّ الكاتبة استمدت منها: عالم ثورة التحرير وتوظيف الرمز بشكل ما، وخلال هذا أعطى الناقد حق النقد لزهور ونيسي حيال تقديمها للرؤيا الفكرية والفنية لكي تتجاوز بعض الأزمات التي وقعت في السابق من الأزمان وهذا بذكره لمكان وتاريخ مولد الكاتبة حينما قال أنّها من مواليد مدينة قسنطينة عملت قبل الاستقلال إلى جانب نضالها أثناء الثورة التحريرية، (بن قينة عمر، 2017)²⁴ وهذا يفسّر اهتمام الناقد بهذه السياقات حتى يقدم نقداً تاريخياً على أساسها.

هذه الطريقة في النقد تجعلنا نطرح سؤالاً، هل العودة لظروف المؤلف الاجتماعية والأسرية والتاريخية وعصره وبيئته تعدّ أو تدخل في سياق المنهج التاريخي؟ صحيح أنّ الفلسفة الأولى قالت بهذا لكن يجب أثناء تفسير المعنى التعمق أكثر في تبين وفهم التاريخ الإنساني الذي يريد النصّ قوله.

وقد وضع الناقد محطات لمنهجه التاريخي، منها تقديم حوصلة عامة عن نشأة الرواية العربية التي كانت لها مرجعيات فنية وفكرية لما هو عند "بلزاك" Balzac والكوميديا البشرية، كما ذكر خلال تحديده نشأة أول الأعمال الروائية العربية (ريح الجنوب) والتواريخ والأماكن والأزمنة وكذا بيئة وعصر التي نشأ فيها الجنس الروائي والظروف التي جعلت الأديب يكتب مثل هذا النوع من الروايات (الثورية، الواقعية الإيديولوجية) ووصف الأحداث الواردة في النصوص والتطرق للتحليل الفني ضمن سياقها التاريخي.

يمكننا أن نجمل خطوات المنهج التاريخي لدى الناقد في النقاط التالية:

- تحديد نشأة النصّ؛

- وضع صورة الأديب ضمن ثقافة اجتماعية معينة؛

- تحديد المجتمع الذي نشأ فيه الأديب ونصّه؛

- الحديث عن الظروف التاريخية والبيئية وعصر صاحب النصّ.

ما يعني تقليد كل هذه الاجراءات والخطوات أثناء تحليل النصّ الروائي لذلك نجد بعض الهنات المتمثلة في وجود تحليل سطحي خارجي لا يهتم معنى النصّ إلا استثناء.

3.3 المرجعية النقدية: يتكئ الناقد في نقده التاريخي هذا على مقولات «هيبوليت تين Hippolyte Adolphe Taine خاصة عنصر البيئة والعرق والزمان» (بن قينة عمر، 2017)²⁵، الذي نشأ فيه الأديب، ودليل ذلك حديثه عن الوسط الذي تربى فيه الروائي محمّد بن إبراهيم بقوله: «يحسن أن نتوقف قليلاً عند أول عمل من هذا النوع كظاهرة مبكرة كتبه صاحبه سنة 1849 وهو حكاية العشاق في الحب والاشتياق للسيد محمّد بن إبراهيم المولود بالجزائر سنة 1806 المدعو الأمير مصطفى الذي كان جده (مصطفى باشا) دايا على الجزائر 1795-1805 وعانى أبوه (إبراهيم) في مواجهته

الاحتلال الفرنسي منذ بدايته 1830 فلفي السّجن ثم توفي 1846 تاركاً ابنه محمّد في مواجهة وضع صعب أسهم في ميلاد هذه القصة» (بن قينة عمر، 2017) ²⁶.

إنّ تفسير النّص بناء على ظروف وبيئة الكاتب غير كافٍ لحمل النّقد صفة التّاريخيّة وهذا يدعو إلى أنّ النّاقّد اكتفى فقط بإعادة ما جرى للكاتب وصياغته ضمن تحليل ما، لأنّ النّقد يجب أن يثبت هو التّاريخ لا أن يعيد صياغته من خلال النّص الذي احتوى عليه أو تأثر به وهذا لا ينفي نجاح "عمر بن قينة" في تكييف آليات النّقد التّاريخي كاستراتيجية تؤمن بالحديث عن بيئة وعصر المؤلّف، ممّا يعني السّير الصّحيح في إطار ما يتعلق بقولية النّص الرّوائي مع أدوات التّهجّ التّاريخي وبالتالي إنتاج نص نقدي يحمل معطيات هذا النّوع من النّقد.

الاعتماد على وضع العمل الأدبي ضمن «سياقه الثّقافي والحضاري» (بن قينة عمر، 2017) ²⁷ واتخاذ حوادث التّاريخ السّياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتحليل ظواهره أو التّاريخ الأدبي لأمة ما» (ايجلتون تيري، 1992) ²⁸ من ذلك قوله عن النّشأة النّاضجة عن رواية ربح الجنوب: «غير أنّ النّشأة النّاضجة لرواية فنيّة ناضجة ارتبطت برواية ربح الجنوب» وقد كتبها عبد الحميد بن هدوقة في فترة كان الحديث السّياسي جارياً بشكل جدي عن الثّورة الرّزاعيّة، فأنجزها في 05 نوفمبر 1970 تزكيّة لخطابه السّياسي الذي يلوح بأمال واسعة للخروج بالرّيف من عزلته ورفع الضّيم عن الفلاح، ودفع كل أشكال الاستغلال للإنسان، وسرعان ما تكرر ذلك الخطاب الطّويل الذي هلّل له الإعلام كثيرًا، في قانون الثّورة الرّزاعيّة الصّادر رسميًا في 08 نوفمبر 1971...» (بن قينة عمر، 2017) ²⁹.

إنّ رجوع النّاقّد للحوادث السّياسيّة والثّقافيّة وكذا التّاريخيّة وتفسير الأدب وإنتاجه على منوالها يبقى محصورًا في التّفكير النّقدي العادي الذي يبحث عن المؤثّرات وظروف وأسباب معينة، كما يحسب للنّاقّد في هذا القول صياغته النّقديّة التّاريخيّة التي وضّح فيها سبب نضج ربح الجنوب وتأكيده ذلك بذكر أحداث واقعيّة يتزامن معها النّص الرّوائي.

الاستناد إلى مقولة جورج لوكاتش (György Lukács) في كتابه "الرواية التّاريخيّة" «أنّ الأدب انعكاس للحياة» (لحميداني حميد، 1990) ³⁰ ودليل هذا انعكاس الأحداث

المتعلقة بالثورة الزراعيّة في نصوص الرّوائيين خاصّة في رواية ربح الجنوب التي جسدت استغلال «ابن القاضي للفلاحين وهروب الطّالبة الجامعيّة من الرّيف وقوانينه المجحفة في حق المرأة وطبيعة العيش فيه في فترة الاصلاحات» (بن قينة عمر، 2017)³¹. وفي هذه الانطلاقة يعود النّاقّد لإثبات مقولة الأدب يمثل الواقع والحياة لما قاله أرسطو بأنّ الفن حقيقة تتجاوز الواقع التّاريخي، وهذا تأكيداً لما ذهب إليه لوكاتش (Lukács) عندما رأى «أنّ المذهب الواقعي الذي يركّز على جرأة الرّوائيين الواقعيين في كشف التّناقضات، وإبراز الحقيقة الاجتماعيّة بواسطة واقعيّة التّفاصيل» (لوكاتش جورج، 1978)³².

يركّز هذا القول على اقتحام الواقع اليومي وأحداث الماضي لتجسيد التّاريخ في الأدب، لكن على أنّ النّقد أن لا ينظر إلى الأدب على أنّه تاريخ بل يجب دراسته بروح ناقدة تجمع بين التّقويم والتّصحيح والتّاريخ، ويكون كلامها ناقداً ويرجع إلى فلسفة الحياة والوجود. الاعتماد على ما قدّمه لانسون (Lanson) في نظريته «للروح العلميّة لتاريخ الأدب» (وغليسي يوسف، 2002)³³ الدّاعيّة إلى أنّ جميع أفكار المؤلّف لها خلفيّة تاريخيّة معينة، وهنا رأى النّاقّد بن قينة أنّ عبد الحميد بن هدوقة لم يكن بعيداً عن هذا المحيط فاجتذبه مشروع الثّورة الزراعيّة قبل أن يصير ميثاقاً كما راقته من دون شكّ الفكرة بلامحها الإنسانيّة للخروج بالرّيف من تخلفه، فانساق بذلك مع التيار، حيث لم يكن يلوح لكثيرين غير الجانب المشرق بعيداً عن حقيقة الوضع والإنسان الإنسان الرّيفي نفسه الفلاح ذاته الذي تمنح له الأرض بعد تأميمها من مالك لا يعمل فيها أو له فائض عن حاجته، وقد بات الموضوع شاغلاً للنّاس انعكس في نصّ الرواية نفسه» (بن قينة عمر، 2017)³⁴.

يمكننا أن نجمل (من هذا القول) المرجعيّة النّقدية لابن قينة التي اقترب فيها من التّطبيق الصّحيح لآليات المنهج التّاريخي الأولى، لكنّها انفلتت منه في بعض المواقف أوّلها حديثه عن النّشأة الرّوائيّة وثانها إعادة التّواريخ الموجودة في النصّ الرّوائي، وثالثها اعتبار الظّروف الخارجيّة للمؤلّف السّبب الوحيد في انتاج هكذا نصوص، وهذا قد لا يكون كافٍ لأنّ الأديب قد يكتب كتابه بعيداً عمّا يحسّه ويعيشه أو عاشه سابقاً، قد يكتب لجهات رسميّة وقد يكتب لكسب المال وقد يكتب لشهرة صحيح أنّ الكتابة في

الجزائر أملتها الظروف الاستعمارية وحتى ظروف الاستقلال أحيانا لكن على النقد التاريخي ألا يعيد ذلك بل أن يفسر هذا المعنى بناء على تصحيح التاريخ الإنساني.

3. 4 المصطلح واللغة النقدية: تتمثل المصطلحات الواردة في هذا الكتاب فيما يلي: النشأة، الحادثة التأثير، الموقع، التاريخ، الظاهرة، الثورة، الكاتب، الفن المحيط ميثاق الإيديولوجية، الواقعية، النظام السياسي، المجتمع، الحكم، الأحداث.

يأتي ذكر هذه المصطلحات تابعا لمنهج الناقد واعتباره النص وثيقة تاريخية، لهذا جاءت لغته النقدية بسيطة تشرح ما ورد في الرواية بالرجوع إلى فكر المؤلف بقوله: «هذه هي سياسة الحكم فما كانت تراه سياسة النظام خيرا زكاه الكاتب، وما كانت تراه شرا أدانه سياقا أو عرضا به، وهي ملاحظات عامة، في عناصر بارزة اكتفى بها كمثال لتعبير الكاتب عن إيديولوجية النظام، نظام الاشتراكية معينة في حزب وحيد حاكم يسعى لانجاز مشروع ذي روح ماركسية في طبيعة الحياة لدى العمال وملكية الأرض ووسائل الإنتاج...» (بن قينة عمر، 2017)³⁵.

وهنا يظهر أن النص المنقود هو الذي يتحكم في لغة الناقد لذلك يُعبر الأسلوب التحليلي بمصطلحات وألفاظ ذلك الموضوع، فمثلا مسألة الحديث عن فكر المؤلف تستدعي الناقد أن يتكلم عن الإيديولوجية والنظام والسياسة والحكم، بمعنى أنها لغة واصفة للموضوع بحسب المنهج المتبع بالتالي يصبح الخطاب النقدي مرتبطا بجانب يجعل لغته وألفاظها تأتي في قالب معين.

كما تأتي مصطلحات الناقد تاريخية لتثبت حدود المنهج المتبع وتؤكد أيضا طبيعة اللغة من ناحية القضايا المدروسة، فمثلا الحدث والشخصية يفسران بأسلوب معين والحوار والزمان والمكان وتلخيص الرواية بأسلوب معين أي أن اللغة النقدية يجب أن تكون في حدود دائرة موضوعها وفي حدود تقديم معنى معين أو تفسير ظاهرة ومما يثبت هذا قول الناقد ما يلي: «تبدأ شخصيات عديدة في صنع الحدث منها زيدان وقدور بن الربيع فيصفه الكاتب في الفصل الثالث عاملا للثورة ثم يعود في الفصل الرابع عن الحديث عما قبل الثورة كاستفراد يخرج منه للحديث عن مواجهات وطنية مع جنود الجيش الفرنسي المحتل فلا يلبث الجيل حتى يشرع في استقبال الجميع فرارا من بطش

العدو والفقر ومؤازرة لحركة الجهاد بعدما تبين الخيط الأبيض من الأسود منذ مجازر الثامن من ماي 1945...» (بن قينة عمر، 2017).³⁶

إنّ اللغة التّقديّة لـ بن قينة كانت في عرضها ووصفها للجوانب التاريخيّة سهلة تخدم الموضوع، حتى ولو ابتعد الناقد أحيانا بأسلوبه عن الفكرة التي يريد قولها أثناء التعمق فيها أكثر من اللازم، حتى يصبح مثلاً في بعض المواطن مؤرخاً أكثر منه ناقداً، وقد يصيغ فكرة المؤلف كما هي، وهذا ما يجعل المصطلحات الواردة في تحليله تابعة للإنتاج الأوّل ولا تبلور الكلام النّقدي في سياق التاريخي، كما لا ينفي هذا تمكن "بن قينة" من تجسيد أطر هذا المنهج التاريخي بشكل دقيق جداً.

يتناول الناقد في دراسته التّقديّة هذه رواية ربح الجنوب لـ ابن هدوقة واللاز لـ طاهر وطار في الجانب التاريخي الذي تحمله هاتان الروايتان كعينة عمّا هو نظري ويمثّل مجمل الحوادث التاريخيّة، مركزاً حديثه على نشأتها وتأثير الظروف الاستعماريّة والاجتماعيّة في كلا النّصين، أمّا عينة الجانب التّطبيقي فيدرس فيه رواية لونجة والغول لـ زهور ونيسي بادئاً بذكر حياة الأديبة وظروفها وتأثير ذلك على نصّها.

أمّا بالنّسبة لطبيعة رواية ربح الجنوب فهي «نص إيديولوجي حمل معيار الثّورة الرّباعيّة والنّظام السّياسي القائم قبل الاستقلال بدليل أنّ تاريخ تأليفها يعود إلى نفس تاريخ ميثاق الثّورة الرّباعيّة الصّادر في 08 نوفمبر 1971 وما يثبت إيديولوجيتها أيضاً هي معالجته لموضوع الأرض من جهة نظر اشتراكيّة شيوعيّة» (بن قينة عمر، 2017).³⁷

أمّا رواية اللاز لـ طاهر وطار واقعيّة تحمل تفاصيل الواقع الذي يعيشه الإنسان الفاقد لأبويه، لذا فهي رواية "الأطروحة" كما يسميها الناقد أي أنّها تطرح أمام القارئ جميع تفاصيل الواقع و«تمثل أمام القارئ كحاملة لتعاليم يهدف البرهنة على صحّة عقيدة سياسيّة أو فلسفيّة أودينيّة» (بن قينة عمر، 2017).³⁸ أمّا رواية لونجة والغول لـ زهور وسيني فهي رواية شخصيّة بالدرجة الأولى.

ثالثاً: الإجراء النّقدي:

1. التّصنيف: صنفت الدّراسة الخاصّة بالرواية إلى فصلين عُنونَ أولها بتأسيس الرواية الجزائرية بين الواقعيّة والإيديولوجيّة والفن وثانها بـ لونجة والغول وعالم المعاناة في وقت ما...رمزي، في الفصل الأوّل تحدث الناقد عن النّشأة الرّوائيّة وظروف

تأسيسها وكذا الحديث عن أولى الروايات باللغة العربية (ريح الجنوب/ حكاية العشاق، الطالب المنكوب الحريق، صوت الغرام رمانة) كأولى الروايات التي يُختلف في تحديد أي النصوص منها كانت تمثل النشأة الجادة بالتوصل إلى أنّ هذه النشأة تعود إلى ريح الجنوب، أما الفصل التطبيقي فقد طبق فيه آليات المنهج التاريخي على رواية لونجة والغول، يقدم الناقد بن قينة خلال هذا الفصل تعريف بحياة الكاتبة زهور ونيسي، ثم الظروف التاريخية التي سبقت التأليف، ملخص الرواية، عنوان الرواية ومضمونها والعلاقة بينهما، أحداثها، الجوانب الرمزية فيها، ثم تسجيل بعض ملاحظات نقدية عديدة منها: (بن قينة عمر، 2017)³⁹.

-نجاح الكاتبة تقريبا في تصوير شخصية "مليكة" فإنها بقيت دون ذلك في إعطائها الإشعاع الفلسفي والفكري والفني الذي يجعل منها شخصية مشعة ذات بعد رمزي مؤثر فاعل؛

-ضعف استغلال الحدث ظرفا ومناسبة، في مثل المقارنة بين صيادي السمك في أعالي البحر على قواربهم كسادة بحر والبطل القومي (الرايس حميدو) أيام القوة البحرية الجزائرية؛

-ضعف البناء في جزئيات الحدث؛ فالكاتبة تذكر أنباء الثورة صباح (أول نوفمبر) تصل عمال الميناء من المذيع؛ ثم تجعل أحدهم يلتقطها من صحفية مهملة فالأحداث لم تشع إلا صباحا وقراءة الصحف المسائية لا يكون إلا بعد الظهر وهو ما يتناقض ولحظة الاستماتة في الانصات للمذيع وبينما نرى (رشيدا) يعلن بنفسه قرار التحاقه بالثورة ينوب عن (أحمد) غيره من دون مبرر.

لقد وفق الناقد بن قينة في حصر وتقديم هذه الملاحظات لكونها أضاءت بعض الجوانب الخفية وغير واضحة في نص الكاتبة زهور ونيسي كما أثبتت للقارئ مدى قدرة الناقد على تطبيق آليات المنهج التاريخي وإبراز الإمكانية النقدية في مجاله الاجرائي، وعلى الرغم من هذا فإننا نجد تناقض نوعا ما حينما رأى من الجانب الشخصي والذاتي رقة الكاتبة وعذوبة فكرتها وأخذها أحداث روايتها من واقع الثورة فهي في نظره تصوير لعالم من المعاناة والأشواق في وقت ما...رمزي، يربط التاريخ بالأسطورة والواقع في الوقت نفسه، عفويتها لذيدة عذبة غالبا.

إنّ وقوع النّاقِد في مطب التّناقض والتّقييم من النّاحيّة الشّخصيّة للكاتب سببه إعطاء هذه الملاحظات من دون ذكر البديل لكي يصحح النّص الأوّل لكن هذا لا يقلل من قيمة الدّراسة في المجال النّقد التّاريخي للرواية الجزائريّة لكونه يعلم كنه وتجربة الكاتب ووطنيتها.

2. حكم القيمة على التّصنيف: وهنا يحدد النّاقِد قضايا نقد الرواية بناء على نقده للمؤلّف:

1.2 نقد الحيز مكاني:

1. نقد المكان: يرتبط الحكم النّقدي حول المكان بأحداث الرواية حسب رأي النّاقِد فقد رأى بأنّ حيز أحداث رواية ربح الجنوب يدور في قرية أو ريف انطلاقاً من أنّها رواية الحدث، حيث أصدر عمر بن قينة حكماً سلبيّاً قال فيه أنّ الحيز المكاني: «لم يخضع لتقنين فتّي محكّم بارز الملامح، بل بقي ذلك ضبابياً متناثراً، كل ما هنالك أنّ في الأمر دشرة ما ريفيّة قد تسمّى (قرية) ريفيّة أوعويّة...» (بن قينة عمر، 2017)⁴⁰.

هذا الحكم السّلبّي مبرره أنّ الرّيف حيّز مكانيّ ضيق في مسار الأحداث، وهو شيء غير مقنع فالمكان هو المكان وكان لزاماً على المؤلّف اختيار الرّيف مكاناً للأحداث تبعاً للموضوع بحكم توسعه مادام يدور في سياق الثّورة الرّعايّة وصراعاتها.

سنذكر في هذا الجانب مجموع الأماكن التي حدّدها النّاقِد أثناء دراسته للروايات الثلاث ربح الجنوب، اللّاز، لونجة والغول: الرّيف، منطقة الهضاب العليا، القرية الأراضي الفلاحيّة، البساتين، الكوخ، بيوت، المزارع، الشّمال الجنوب، الغرفة، البيت المراكز العسكريّة، الميناء، باريس، الجبل...

إنّ تحليل النّاقِد للمكان يعدّ استعراضاً لبعض اللواحق التي تخضع «للتأويل النّقدي دون تجاهل العناصر التي تحقّق الجوانب الفضائيّة للعمل الرّوائي الذي هو بصدد تأمله وطرح أفكاره حوله» (بن ستيقي سعديّة، 2017)⁴¹ وقد كانت دراسته للمكان مرتبطة بالحدث بقوله: «وقد انطلقت أحداث الرواية السّاخنة مادياً ونفسياً من قرية صغيرة هادئة في شرق الوطن... وانتهت دمويّة في الجبل، ويقدم الكاتب في مطلع المتن ما يشبه التّمهيد إيعازاً بالنتائج كما يختم الرواية في النّهاية بما يصور ملامح لإفرازات ثورة التّحرير...» (بن قينة عمر، 2017)⁴².

الملاحظ على هذا الرأي ارتباطه واتفاقه مع ما ذهب إليه جون بيارى (Jean Pierre) حينما رأى أنّ «أحد المهام الأساسية للفضاء تتمثل في معظم الأحيان في السماح للحدث بالوقوع...» (Jean Pierre, 1986)⁴³. وضوح الرؤية لدى الناقد بخصوص الأمكنة وارتباطها مع الأحداث كان لازمة من لوازم التحليل النقدي حتى يكون القارئ على اطلاع كافٍ خصوصاً أنّ أغلب المتون الروائية تنطلق من مكان لتحكي قصتها في زمان ومكان معينين وقد لا يكون للمكان أهمية بالنسبة للمؤلف فيسرد وقائعه دون ذلك.

2. نقد الزّمان: يتعلّق الزّمن بالنسبة للناقد بمجموع التّواريخ التي حققت أحداثاً معينة، منها تطرقه إلى الثّورة المسلحة سنة 1954-1962، الثّورة الرّعاية بعد الاستقلال 1970 وهنا يظهر ما يسمّى بالزّمن التّاريخي الذي يرتبط بالحدث الذي «يتسم بالزّمنية والزّمن من حيث هو يجب أن يتصف بالتّاريخية في شكل من أشكالها، فهما متداخلان بل هما شيء واحد يبقى فقط التّمييز بين حدث إبداعي يقوم على الخيال وحدث تاريخي يقوم على الحقيقة الزّمنية بكل ما تحمله من شبكية» (مرتاض عبد الملك، 1998)⁴⁴ بمعنى أنّ النقد التّاريخي يركز على أولوية الزّمن المتصف بالتّاريخية من ناحية بلورته خيالاً في سياق سردي معين. كما يتلازم داخل المتن الروائي عناصر الزّمان والمكان من خلال تبادل التأثير «وهما عنصران أساسيان في عملية السرد القصصي، وإنّ زمنًا ليس هو زمن السّاعة، وكذلك فإنّ مكان الرواية ليس هو المكان الجغرافي» (مولاي علي بوخاتم، 2005)⁴⁵.

إنّ دراسة الزّمن بالنسبة للناقد مرتبطة بتبيان الحدث التّاريخي المحدّد في وقت معين وتوضيحه عند المؤلّف: وهو ما يسمّى عند غاستون باشلار (Gaston Bachelard) بـ «إنشائية الفضاء التي تربط القيم الرّمزية للمكان والزّمن انطلاقاً ممّا يراه الرّائي أو شخصياته من مشاهد وأمكنة الإقامة كالمنزل والغرفة...» (باشلار غاستون، 1984)⁴⁶.

3. نقد الشّخصية: يركز الناقد في جل حديثه على الشّخصية الرّوائية وما جرى لها من أحداث أثرت فيها لأنّها «تمثل مع الحدث عمود الحكاية الفقري، لذلك تدرس في إطارها إلّا أنّ هذا الدّرس قد تعثر طويلاً ولم يحقق نقلة نوعية إلّا ممّا أعادت السّرديات النّظري طابعها» (القاضي محمّد، 2010)⁴⁷.

ولقد نظر الناقد بمنهجه التاريخي لشخصية الروائية على أنها المسبب الوحيد والعنصر الفريد لتمثيل الحادثة في سياقها التاريخي بقوله: «أن شخصية اللاز شخصية تعمل للتعاون مع الثورة مستغلا صلته مع الضابط لكن أمره يكشف بواسطة (بعطوش) الذي دسسته المصالح السرية في الجيش الفرنسي وسط المجاهدين، ثم هرب عائداً بحقائق كثيرة منها عمل (اللاز) مع الثوار الذي خضع لتعذيب شنيع خصوصاً حين تمت المواجهة بينه وبين (بعطوش) لكنّه سرعان ما قام بتهريبه أربعة جنود جزائريين من الثكنة نفسها في عملية تموينية، والتحق بالجبل حيث وجد "زيدان" وغيره ممن عرفهم في القرية مثل (قدور وحمو) فغمره سرور عظيم» (بن قينة عمر، 2017).⁴⁸

لقد لخص الناقد رحلة ودور شخصية واحدة ضمت في سيرها الحدثي شخصيات أخرى أسهمت في إنجاز أحداث كثيرة وكانت سببا في تغير مسار القصة، لأنها «كونت نظاماً ينشئه النص تدريجيا فهي هوية عامة في البداية وبنية جديدة في النهاية وإشراكها شخصيات تصبح من خلالها معقدة غنية مرغبة من دون أن تفقد هويتها الأصلية» (القاضي محمد، 2010).⁴⁹

هكذا نرى كيف يجري حديث الناقد عن الشخصية وذكر صفاتها لإبراز فكرة التسلسل المنطقي والربط الذي يحتاجه النص، وقد حصر نقده «هذه الشخصية وعاملها على أنها معطى جاهز مثلما فعل فورستر» (القاضي محمد، 2010)⁵⁰ وهو ما يعرف بالجاهزية أي تفسير عنصر الشخصية كما هي دون زيادة أو نقصان الأمر الذي جعله يطنب في معرض حديثه عنها غير مهتمّ بفنيتهما أو بالعناصر الأخرى التي لم يبين الناقد أي معنى آخر للشخصية في هذا التحليل سوى أنه أعاد دورها كما هو في النص، وهذا ما يعاب عليه ويجعل نقده للشخصية ناقصاً في بعض الجوانب.

3.4. نقد الحدث: مادام الناقد يتعامل مع الرواية تاريخياً فإنّ اهتمامه بالحدث التاريخي كان واضحاً لا غبار عليه وقد استخدم الناقد تقنية «العودة إلى الوراء للحصول على الدقة في ما في الأشخاص الذين ألفوا العمل أو الموجودون داخله بالتالي يستدعي دائماً وكلها العودة للتاريخ العام...» (بيطور ميشال، 1986).⁵¹

وقد تحدّث في فصله التطبيقي عن الحدث الفعلي في رواية لونجة والغول الذي ينتهي بانتهاء مصير «الشخصية المحورية» متابع ذلك بعنفوان حدث الثورة وانفعالات

شقي يشهدا كل من أحمد، مليكة، سليم وأحداث أخرى تمثلت في زواج مليكة بالميناء أين يعمل أبوها وغيرها من الأحداث» (بن قينة عمر، 2017)⁵².

طبعاً دراسة الحدث والشخصية والزمان والمكان كلها أمور شكلية لم تبين مضمون النص الروائي أو ما يمكن تسميته بالمحتوى العميق والمضموني لاستخراج المعنى التاريخي الذي يريده قارئ النقد.

5. خاتمة: وأخيراً يمكننا القول إنّ الحديث عن النقد الروائي الجزائري في هذه المقالة قد تضمن أصولاً ومرجعيات هذا النوع من النقد لبيان مدى قدرة كل ناقد جزائري على تطبيقها من خلال التطرق لبعض تجاربهم، مع وجود عينة (الأدب الجزائري الحديث) لـ عمر بن قينة والتي فصل فيها المقال من حيث دراستها نقدياً وابستمولوجياً بالحديث عن بعض القضايا والمصطلحات والمتن الروائي المدروس وكذا تسليط الضوء على منهج وإجراء الناقد التصنيفي.

وعليه نستطيع القول إنّ النقد الروائي التاريخي الجزائري قد أعطى للنص أبعاداً غيرت من مبناه ومعناه بصفة عامة لكنّه حصر ذلك في حدود الكلام عن المؤلف ودوره في تأليف الرواية بالتالي يجد القارئ اهتماماً به على حساب نصّه، كما نستنتج من تجربة الناقد "عمر بن قينة" في هذا الكتاب تمكنه من استراتيجيات نقد المؤلف فيما يخص جانب التاريخ والعودة لحياة الكاتب وعصره وبيئته، لإثبات قدراته الفنية في كتابة الرواية، كما يعدّ الكتاب محاولة رائدة في مجال نقد الرواية عربياً، على الرغم من بعض النقائص، التي تمثلت في إصدار الأحكام على القضايا الشكلية دون البحث عمّا يحمله النص من معان داخلية يقولها، بغض النظر عن شخصياته وأحداثه وزمانه ومكانه، كما يمكن حصر نتائج المقال في النقاط التالية:

1. الاهتمام الكبير والواضح للنقاد باتخاذ التاريخ وسيلة لنقد الرواية.
2. نجاح بعض التجارب النقدية في بيان الأطر التاريخية التي حملتها رواية زمن الاستعمار واعتبار رواية السير الذاتية محطة هامة لإثبات عناصر التاريخ.
3. تمكن بعض التجارب من إثبات تجربة النقد التاريخي للرواية بحق.
4. نجاح الناقد "عمر بن قينة" في تأكيد عنصر التاريخية في النقد من خلال حديثه عن عصر وبيئة المؤلف وتأثير ذلك على النص.

5. إثبات قدرة الناقد على توضيح وإبراز تحليله الدقيق للرواية مع وجود صياغة ذلك لصالح صاحب النص.
6. اهتمام الناقد (بن قينة) بحياة الكاتب أكثر من اهتمامه بالنص في حد ذاته مثلما لاحظنا ذلك في تحليله لرواية زهور ونيسي.
- كما يمكننا تسجيل جملة من الاقتراحات:
1. إمكانية وجود تجارب أخرى أدق وأوضح من سابقتها.
2. اهتمام الجامعات الجزائرية بالبحوث النقدية في هذا المجال.
3. وضع مخطط واضح للمنهج التاريخي حتى تسهل ممارسته.
4. الاهتمام بهذا النوع من النقد كتخصص يدرس في الجامعات.
5. توسيع نطاق اهتمام الملتقيات والمؤتمرات بهذا النوع من النقد.
6. قائمة المراجع:
- المؤلفات:

- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من الأنسونية إلى الالسنونية (إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، ط01، 2002م) ص: 18.
- حميد لحميداني، النقد الروائي والإيديولوجية من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، (المركز الثقافي العربي، بيروت، ط: 1 م1990) ص: 62.
- Lukas, George: *Bairac et le réalisme français, masperc*, 1973, p: 20
- محمد الأمين شيخة، تصورات ومفاهيم في النقد والأدب، مقاربات في مجال النقد الحديث والمعاصر، (منشورات مزوار الجزائر، ط: 1، 2014)، ص: 07.
- تيري إيجلتون، النقد والإيديولوجية، تر: فخري صالح، (عمان، دط 1992م) ص: 28.
- عبد الملك مرتاض، نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، (عالم المعرفة، الكويت ديسمبر 1998م) دط، ص 31.30.
- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، (المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر دت، ط) ص: 17.
- عبد الله الركبي، تطور النثر الجزائري (المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط: 01 1983م) ص: 198.

- عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954) (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983) ص: 191.
 - عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، تاريخًا وأنواعًا، وقضايا وأعلاما (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط03، 2017) ص: 195.
 - محمد ساري، النقد الأدبي الحديث، (مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر دط، د ت) ص: 104.
 - عمر بن قينة، دراسات في القصة الجزائرية القصيرة والطويلة، (شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط: 01، 2012) ص: 175.
 - يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، (جسور للنشر والتوزيع، الجزائر ط: 1 م 2007) ص: 15.
 - جورج لوكاتش، الرواية التاريخية، صالح جواد الكاظم، (دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت-لبنان، 1978م) ص: 24.
 - سعدية بن ستيقي، الإطار المفاهيمي للفضاء الزماني، (ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط: 01، 2017) ص: 34.
 - غاستون باشلار، جمالية المكان، تر: غالب هلسا، (المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان ط: 02، 1984م) ص: 35.
 - محمد القاضي، وآخرون، معجم السرديات، إشراف: محمد القاضي (دار محمد علي للنشر، تونس، ط: 2010، 01م) ص: 27.
 - ميشال بيطور، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس (منشورات عويدات بيروت-لبنان، باريس، ط: 03، 1986م) ص: 93.
- المقالات:**
- أحمد تجاني سي كبير، محاضرات في التاريخ الأدبي، (كلية الآداب واللغات 2015-2016م) ص: 02.
 - أحمد منور، رواية السيرة الذاتية في الأدب الجزائري الحديث، ابن الفقير نموذجًا، (مجلة المسألة، ع: 1، 1991م) ص: 185.

● Jean Pierre Golddeustein: pour lire le ranaan, Bruxelles du Boeck- Buculot, Bruxelles, Paris-France, 1986, p: 98)

● علي بوخاتم مولاي، المكان والزمان في راهن المرونة النقدية العربية المعاصرة (مجلة النقد والدراسات الأدبية واللغوية، ع: 3، 2005) جامعة الجزائر، ص: 90.
8. هوامش:

- 1- أحمد تجاني سي كبير، محاضرات في التاريخ الأدبي، كلية الآداب واللغات، 2015-2016، ص: 02.
- 2- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من الأندلسية إلى الالسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، ط: 1، 2002، ص: 18.
- 3- المرجع نفسه، ص: 20.
- 4- أحمد تجاني سي كبير، محاضرات في التاريخ الأدبي، ص: 3.
- 5- حميد لحميداني، النقد الروائي والإيديولوجية من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط: 1، 1990، ص: 62.
- 6- Lukas, George: Bairac et le réalisme français, masperc, 1973 p: 20.
- 7- محمد الأمين شيخة، تصورات ومفاهيم في النقد والأدب، مقاربات في مجال النقد الحديث والمعاصر، منشورات مزوار الجزائر، ط: 2014، ص: 07.
- 8- تيري إيجلتون: النقد والإيديولوجية، تر: فخري صالح، عمان، دط، 1992، ص: 28.
- 9- عبد الملك مرتاض، نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت ديسمبر 1998م، دط، ص 31.
- 10- نفسه، ص: 26.
- 11- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، د ت، د ط، ص: 17.
- 12- عبد الله الركبي، تطور النثر الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983 ط: 1، ص: 198.
- 13- عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص: 191.
- 14- تيري إيجلتون، النقد والإيديولوجية، ص: 29.
- 15- المرجع نفسه، ص: 33.
- 16- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، تاريخًا وأنواعًا، وقضايا، وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 3، 2017، ص: 195.
- 17- محمد ساري، النقد الأدبي الحديث، مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت ص: 104.
- 18- عمر بن قينة، دراسات في القصة الجزائرية القصيرة والطويلة، شركة دار الأمانة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط: 01، 2012، ص: 175.

- 19- يوسف وغيلسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:1، 2007 ص:15.
- 20- أحمد منور، رواية السيرة الذاتية في الأدب الجزائري الحديث، ابن الفقير نموذجاً، مجلة المساءلة، ع:1، 1991، ص:185.
- 21- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص:195.
- 22- المرجع نفسه، ص:05.
- 23- نفسه، ص:06.
- 24- المرجع نفسه، ص:06.
- 25- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص:196-197.
- 26- نفسه.
- 27- عمر بن قينة، الأدب الجزائري الحديث، ص:197.
- 28- تيري إيجلتون، النقد والإيديولوجية، ص:104.
- 29- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص:196-197.
- 30- حميد لحميداني، النقد الزواني والإيديولوجية، ص:63.
- 31- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص:198.
- 32- جورج لوكاتش: الرواية التاريخية: صالح جواد الكاظم، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت- لبنان، 1978، ص:24.
- 33- يوسف وغيلسي، النقد الأدبي الجزائري المعاصر، ص:18.
- 34- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص:204.
- 35- المرجع نفسه، ص:218.
- 36- المرجع نفسه، ص:221.
- 37- المرجع نفسه، ص:203.
- 38- نفسه، ص:211.
- 39- المرجع نفسه، ص:258.
- 40- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص:218.
- 41- ينظر: سعديّة بن ستيقي، الإطار المفاهيمي للفضاء الزواني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط:1، 2017، ص:34.
- 42- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص:220.
- 43- Jean Pierre Golddeustein: pour lire le rana, Bruxelles du Boeck- Buculot, Bruxelles, Paris- France, 1986, p: 98.
- 44- عبد الملك مرتاض، نظرية الرواية، ص:180.
- 45- علي بوخاتم مولاي، المكان والزمان في راهن المرونة النقدية العربية المعاصرة، مجلة النقد والدراسات الأدبية واللغوية، ع:3، 2005، جامعة الجزائر، ص:90.

- 46- غاستون باشلار، جمالية المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط: 02، 1984، بيروت- لبنان، ص: 35.
- 47- محمد القاضي، وآخرون، معجم السرديات، إشراف: محمد القاضي، دار محمد علي للنشر، تونس، ط: 01، 2010م، ص: 27.
- 48- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص: 222-223.
- 49- محمد القاضي، وآخرون، معجم السرديات، ص: 271.
- 50- نفسه، ص: 270.
- 51- ميشال بيطور، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات بيروت- لبنان، باريس، ط: 03، 1986، ص: 93.
- 52- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص: 255.